جامعة القاهرة

كليــة دار الـعلـوم

قسم النحو والصرف والعروض

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان

"الخلافات النحوية في حروف المعاني الجارة والعاطفة وأثرها على المفسرين"

إعداد الباحث

حسني بكري إبراهيم محمد

إشراف

الأستاذ الدكتور :أحمد محمد عبد الدايم
أستاذ النحو والصرف والعروض

والأستاذ الدكتور :محمد إبراهيم شريف
أستاذ الشريعة الإسلامية

٢٠١٤ - ٢٠١٥ م

شكر وتقدير

الجمد لله رب العالمين الذي وفقني لإتمام هذا العمل

أتوجه بالشكر والعرفان لكل من مد لي يد العون وساعدني على إتمام هذا البحث وأخص بالذكر فضيلة **الأستاذ الدكتور / أحمد محمد عبد الدايم** أستاذ النحو والصرف والعروض بالكلية على الإشراف والإرشاد المتواصل وعلى ما قدمه لي من عون ورعاية واهتمام وعلى توجيهاته المستمرة ودعمه الدائم لي طوال هذه المرحلة

كما أتقدم بالشكر الى فضيلة **الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم شريف** أستاذ الشريعة الإسلامية الذي بذل جهداً عظيماً مراجعةً وتدقيقاً وارشاداً

وأتوجه بخالص الشكر إلى فضيلة **الأستاذ الدكتور / ياسر حسن رجب و الأستاذ الدكتور/ فاروق محمد مهنى** على قراءتهما هذا العمل ومناقشتي فيه وإرشادي إلى الأخطاء التي وقعت فيها.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد ،،،

فمن حكمة الله تعالى أن ختم الرسالات السماوية برسالة الإسلام ، ونسخ الكتب المقدسة بالقرآن الكريم ، وكان القرآن الكريم المعجزة الدالة على صدق الرسول والرسالة والمنهج الذي يسير عليه الناس إلى أن تقوم الساعة .

فالقرآن هو الميدان الذي بلغ فيه لسان العربية مبلغاً ظهر فوق القوى والقدر ، وقطع الأطماع ، واستوت عنده الأقدام في العجز كما يقول الأئمة رضوان الله عليهم .

وكتاب هذا شأنه من حيث البلاغة والدقة تسابق العلماء إليه وتسارعوا في طلب الشرف والتشريف عاكفين على دراسته واستخراج أحكامه ومعانيه ، وبيان مقاصده ومغازيه .

ومنذ دراستي في السنة التمهيدية كانت نفسي تتوق وتتشوق لأن يكون عملي متصلاً بالقرآن الكريم ، فكان أن يممت صوب القرآن الكريم ، وقد تملكني شعور بالرهبة والمحاجزة والعجز ، لكنني أجمعت نفسي وأقدمت وقلت إن الله قد جعل لطلبة العلم والاجتهاد فسحة ليعينهم على شعور الرهبة والمحاجزة والعجز ، وذلك حين علق أجرهم بمقاصدهم ونواياهم وليس بنتائجهم وحساب خطواهم ، والمهم أن يتوافر الاجتهاد وأن تتجرد النفس لطلب الصواب ، فمن اجتهد وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ، فليس ثمة حرمان من المثوبة والأجر ما دامت توافرت العزائم وتوافر الجد والاجتهاد مقترنين بالإخلاص وصدق النية ، وبهذا الشعور مضيت

وتوقفت عند موضوعات كثيرة ولكن الذي غلبني على نفسي هو موضوع " الخلافات النحوية في حروف المعاني الجارة والعاطفة وأثرها على المفسرين " .

كان اختياري لموضوع الخلافات النحوية لما لهذا الخلاف أكبر الأثر في إثراء الدراسة النحوية لما يدلي كل فريق من أدلة وحجج إثباتاً لرأيه ومناصرة لجماعته .

ولما كانت هذه الخلافات قد درست وتفردت لها الكثير من الكتب والمؤلفات ورأيت أن أصحاب هذه المؤلفات اقتصروا على الجانب النحوي غير معرجين إلى دلالة هذا الخلاف أردت أن يكون بحثي هذا رابطاً بين هذا الخلاف النحوي وبين الأثر الدلالي المترتب عليه ، فاخترت أن أسشقط الخلاف النحوي على القرآن الكريم وعلى أفكار المفسرين ، ومن ثم شرعت في تتبع أقوال المفسرين والمعربين للقرآن الكريم لأفصح عن إجابة بعض الأسئلة من أهمها :-

- هل تأثر المفسرون بالنحاة فاختلفوا كما اختلفوا ؟ أو بمعنى آخر هل انعكست تلك الخلافات النحوية على المفسرين ؟
- هل تأثر المفسرون بالنحاة فاختلفوا في تفسيراتهم كما اختلف النحاة في معالجة قضاياهم ؟

وبإسقاط الخلاف على أفكار المفسرين تتمكن الدراسة إن شاء الله من بيان مدى وقوع أثر هذا الخلاف النحوي على المفسرين ، ونستطيع أن نرجح رأياً نحوياً على رأي آخر مستعينين في ذلك بالمعنى الدلالي والسياق العام للآية القرآنية .

إن دراسة الخلافات النحوية بعيدة عن أفكار المفسرين وبعيدة عن المعاني الدلالية تكاد تكون دراسة ناقصة لأن النظر في سياق الآية وفي معناها الدلالي والتطرق إلى أسباب نزولها يجعلنا نطمئن ونحن نرجح رأياً نحوياً على آخر .

واعتمدت في دراستي هذه على عدد من التفاسير وهي :-

- جامع البيان للإمام الطبري (ت ٣١٠ ه) .
- الكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨ ه) .
- المحرر الوجيز لابن عطية (ت ٥٤٦ ه) .
- مفاتيح الغيب للرازي (ت ٦٠٤ ه) .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١ ه) .
- الدر المصون للسمين الحلبي (ت ٧٥٦ ه) .
- أنوار التتريل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت ٦٩٠ ه) .
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ ه) .

كما اعتمدت على كتب المعاني والإعراب والتي اتصلت اتصالاً مباشراً بالنص القرآني العزيز ، واخترت حروف المعاني لما لها أكبر الأثر في قلب المعنى وتغييره وكثرة دورانها ، فقلما تجد آية واحدة تخلو من حرف من حروف المعاني ، وكان اختياري لحروف الجر وحروف العطف على وجه الخصوص لأن حروف المعاني كثيرة لا يستطيع بحث أن يستوفيها ، وخاصة إذا أسقط الخلاف فيها على أفكار المفسرين ؛ كما أن حروف الجر والعطف فيها أكثر الخلافات النحوية ويترتب عليها الكثير من الأحكام الشرعية والفقهية ، وهذان البابان - حرف الجر والعطف - يقومان بعملية الربط داخل الجملة وداخل الآية القرآنية .

وحاولت في هذه الدراسة أن أكون شديد العناية بالأمانة في النقل ورد الأقوال إلى قائليها والرجوع بالفكرة المختلف فيها إلى جذورها الأولى ، واستقصاء جميع ما قيل في الحرف المختلف في دلالته ، وترجيح ما يؤيده الدليل وما يقويه النظر ، كما اجتهدت في عقد الموازنات بين الآيات المتشابهة للوقوف على دقائق الفروق المعنوية في ذكر

الحرف أو إسقاطه أو إشرابه معنى حرف آخر ، كما اعتمدت على دلالة المقام والسياق الحاسمة في تعيين المراد من الحرف .

وألتمس العذر من القاريء الكريم إن وقع على خطوة عاثرة أو فكرة صائفة فما في هذا البحث من صواب فمن فضل الله وتوفيقه ، وما كان فيه من الذلل والخلل فمن نفسي وقصوري وعجزي .

خطة البحث

وقد استقام البحث في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، فأما التمهيد فتحدثت فيه عن صلة النحو بعلوم التفسير والدوافع التي دفعت علماء النحو إلي تقعيد القواعد النحوية واللغوية كما تحدثت فيه أيضاً عن بعض أسباب الخلافات النحوية وذلك بإيجاز واختصار شديدين .

أما الفصل الأول فجاء بعنوان " الخلافات النحوية في القول بالزيادة في حروف الجر وأثرها على المفسرين " واشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

الأول بعنوان " معنى الزيادة عند النحاة واللغويين " وفيه بينت المقصود بالزيادة وما يرادفها من مصطلحات وقعت في كتب النحاة مثل " الصلة والحشو والتوكيد واللغو والإقحام " وصدرت هذا المبحث بالخليل بن أحمد ، ثم سيبويه ، ثم الكسائي ، ثم الفراء ، ثم الأخفش ، وبينت المصطلحات التي استخدموها قاصدين بها الزيادة وماذا يقصدون بكلمة الزائد .

أما المبحث الثاني فجاء بعنوان " الخلاف في وقوع الزائد في القرآن الكريم وأثره على المفسرين " وفيه ذكرت الخلافات النحوية بين النحاة والمفسرين في وقوع الزائد في

القرآن الكريم ، وذكرت أقوال القدماء في ذلك والمحدثين وناقشت آرائهم ، ورجحت ما يقوم الدليل على رجحانه .

أما المبحث الثالث فكان بعنوان " الخلاف في زيادة " من " في الإيجاب وأثره على المفسرين " وأردت أن يكون هذا المبحث دراسة تطبيقية تبرز ثمرة الخلاف في جواز وقوع الزائد في القرآن الكريم ، وفيه ذكرت عدداً من الآيات أردفتها بأقوال النحاة والمفسرين وبينت المعاني الدلالية المترتبة على هذه الخلافات .

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان " الخلاف في القول بالتناوب والتضمين في باب حروف الجر وأثره على المفسرين " واشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث :

الأول بعنوان " وظيفة حروف الجر وتصحيح نسبة القول بالنيابة والتضمين بين البصريين والكوفيين " وفيه بينت وظيفة حرف الجر في الجملة ، وبينت نسبة الخلط والتعميم التي وقع فيها كثير من النحاة في عزو الآراء إلى أصحابها .

أما المبحث الثاني فجاء بعنوان " الخلاف في تناوب حروف الجر بين المجيزين والمانعين " وفيه تحدثت عن آراء النحاة في هذه القضية – قضية التناوب – وناقشتها مرجحاً ما يقوم الدليل على رجحانه .

أما المبحث الثالث فجاء بعنوان " الخلاف في القول بالتضمين البصري بين النحاة وأثره على المفسرين " وفيه تحدثت عن الخلافات النحوية في قبول التضمين وناقشت آراء القدماء والمحدثين في ذلك .

أما المبحث الرابع فجاء بعنوان " أثر الخلاف النحوي في القول بالتناوب والتضمين على المفسرين " وكان هذا مبحثاً تطبيقياً من خلاله استطعت أن أقف على أهم النتائج في قضيتي التناوب والتضمين .

أما الفصل الثالث فعنوانه " الخلافات النحوية في حروف العطف وأثرها على المفسرين " وفيه أربعة مباحث :

الأول عنوانه " الخلاف في العطف على الضمير المجرور وأثره على المفسرين " وناقشت فيه أقوال المانعين والمجوزين ، ثم خرجت إلى نتيجة مؤداها جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار في سعة الكلام .

أما المبحث الثاني بعنوان " الخلاف النحوي في القول بزيادة الواو وأثره على المفسرين " وذكرت فيه أقوال النحاة حول زيادة الواو بعد " لما ، وحتى إذا ، وإذا ، وزيادتها بين الصفات " .

والمبحث الثالث جاء بعنوان " الخلاف النحوي في القول بزيادة الفاء وأثره على المفسرين " وذكرت فيه الفاء الواقعة في خبر المبتدأ المتضمن معنى الشرط ، والفاء الواقعة في خبر المبتدأ غير المتضمن معنى الشرط ، والفاء الواقعة مع " إذا الفجائية " والفاء الداخلة على الفعل المقدم معموله في الأمر والنهي ، ثم بينت أثر هذا الخلاف على المفسرين .

وجاء المبحث الرابع بعنوان " الخلاف النحوي في دلالة واو العطف وأثره على المفسرين " وناقشت فيه آراء النحاة في دلالة واو العطف ، وذكرت أدلة الفريقين ، ثم بينت أثر هذا الخلاف على المفسرين .

أما الخاتمة ففيها مجمل لنتائج البحث التي توصلت إليها .

الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث

هناك كثيرٌ من الدراسلت السابقة التي عالجت قضية الخلافات النحوية بين النحاة ، كما أنَّ هناك كثيراً من الدراسات القائمة على دراسة حروف المعاني ، ولكن هذه الدراسات درست كل موضوع على حدة ، ولم تقم بربط هذه الخلافات النحوية بالمعاني الدلالية ، ولم توضح هذه الدراساتُ مدى وقوع أثر ظواهر الاختلاف النحوي على أفكار المفسرين .

ومن أهم هذه الدراسات قديماً وحديثًاما يأتي :-

-اختلاف النحويين لأحمد بن يحي ثعلب (٢٩١هـ)

-الخلاف بين النحويين لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ)

-مسائل الخلاف لأبي القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي (٤١٥هـ)

-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الأنباري (٥٧٧هـ)

-الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)

-الإنتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد تعليقاً على كتاب الإنصاف للأنباري.

-مسائل النحو الخلافية بين الزمخشري وابن مالك للدكتور فهمي حسن النمر، دار الثقافة ١٩٨٥م، القاهرة .

-ثمرة الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للدكتور محمد حسنين صبرة ، دار غريب ٢٠٠١م ، القاهرة .

-أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام-محمد حماد صابر- دار العلوم القاهرة .

-حروف المعاني ودلالتها في التوجيه التقعيدي-أحمد رجب محمد -دكتوراة دار العلوم القاهرة .

وغير هذه الدراسات هناك دراسات عديدة تناولت الخلافات النحوية ، وتناولت حروف المعاني ، ولم توضح هذه الدراسات الآثار المترتبة على هذه الخلافات النحوية عند المفسرين ، ولكن تناولت الخلافات القائمة بين المدرستين البصرية والكوفية والخلاف الواقع بين أنصار المدرسة الواحدة بعيداًعن فكر المفسرين ؛ ولذا فإنني أردت أن أقوم بهذه الدراسة التي تقوم على ربط هذه الخلافات بالمفسرين ، وتبيِّن مدى تأثير هذه الخلافات على المعاني الدلالية عند المفسرين وبيان اتجاهاتهم النحوية .

وأخيراً ، فإنه لما كان من حق أهل العلم والفضل علينا أن ينسب الفضل لهم ، فإنني أتقدم لكلية دار العلوم بخالص الشكر لما تبذله من جهد مثمر لمنسوبيها ومنسوباتها ، وأتقدم بعظيم العرفان لأستاذي الكريمين ، الأستاذ الدكتور أحمد محمد عبد الدايم ، والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم شريف على ما بذلاه من مجهود للباحث إرشاداً وتوجيهاً ومراجعةً ، كما أنني أشكر الأستاذين المناقشين لتكرمهما بقبول فحص ومناقشة هذا البحث ، والله أسأل أن ينفعني بتوجيهاتهما ، وأن يتولى عني جزائهما ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

تمهيد

أولاً : صلة النحو بعلم التفسير

نشأت العلوم العربية الإسلامية تحت مظلة واحدة وهي مظلة الفكر الإسلامي فأصبحت هذه العلوم تؤثر وتتأثر ببعضها أخذًا وعطاءًا، وهذا من طبائع اللغات والعلوم، ومن العلوم التي تأثرت ببعضها علما النحو والتفسير حيث يرتبط علم النحو بالتفسير ارتباطًا وثيقًا، فعلم النحو من أهم الأدوات التي يوظفها علم التفسير والتي لابد من توافرها في المتصدي لهذا العلم لفهم القرآن الكريم.

ويمكن أن أوضح العلاقة القائمة بين العلمين -النحو والتفسير- من خلال بعض المحاور والتي من أهمها ما يلي:-

١- نشأة النحو وارتباطها بالقرآن الكريم:

لم يكن العرب في جاهليتهم بحاجة إلى تقعيد للقواعد أو تقنين لها فلغتهم تجري على ألسنتهم سهلة، عذبه، دون تكلّف أو تعقيد، ودون قاعدة تملى عليهم؛ فالعربي قاعدته فطرته، وأدواته ذوقه، فهو ينطق الكلمة مراعيًا موضعها من الجملة ، كما يراعى موضع الجملة داخل التركيب.

فالعرب في جاهليتهم لهم ذوقهم الرفيع، ونظرهم الثاقبة الفاحصة فهم أمة ذات فصاحة وبلاغة وبيان، أمة تتأثر بالبيان الرفيع، والجملة الموجزة الموحية، أمة علمت أنَّ مجدها لن يكون إلا بلغتها ومن ثمَّ قدروا اللغة، وعرفوا مكانتها، ورفعوا من شأنها وأخذوا يتباهون بهذه اللغة في مجامعهم ومحافلهم، و لم يقف الأمر عند هذا، بل تعداه إلى أبعد من ذلك، حيث عقدت الأسواق وتنافس فيها، الشعراء والبلغاء والأدباء، يقول الشيخ الطنطاوي "لقد كان في هذه الأسواق فوق ما تضمه من مرافق الحياة ومتطلبات المعيشة منتديات للأدب، يعقدون فيها المجامع ذات الشأن، يتبارى فيها مداره الخطباء ومفوّهو الشعراء من القبائل المتنائية الأصقاع يعرضون فيها مفاخرهم، ومنافراتهم، ومعظماتهم، وكل ما يعنّ لهم في جيد الخطب وبديع الشعر"(١).

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: ص ١٣ - ١٤.

وبذالك يكون لهذه الأسواق أكبر الأثر في تهذيب اللغة، وتوجيه الشعراء والخطباء إلى الأفصح والأجود من كلام العرب وكانت لغة قريش هي اللغة الأم، وبها يحكم على اللهجات، فهي قبلة العرب، يتجهون إليها، ويختلطون بأهلها، ويأخذون عنها؛ لأبنائها السيادة والشرف على من عاداهم، وهم بحكم وضعهم وسط بين القبائل المختلفة، تأتيهم هذه القبائل وتصدر عنهم فيأخذون من لغتها ما حَسُن، ويطرحون ما ثقل وخشن، حتى استوت اللغة العربية، واستكملت مقوماتها، وأصبحت تلك اللغة الفصيحة التي يتكلمها العرب بالوراثة ويتناقلها أبناء عن آباء(١).

فالعرب ينطقون العربية الفصحى بسليقتهم، ويتعاملون بها فيما بينهم معتمدين في ذالك على فطرتهم، دون تكلُّف أو تَعَمُّل، ودون قاعدة تملى عليهم، أو تقيدهم، وتحدُّ من حريتهم، فهم يتغنون بلغتهم، ويسجلون بها مفاخراتهم وحوادث أيامهم يحزن بها العربي ويفرح، يضحك بها ويبكي، يصرخ بها ويهدأ وهي تجري على لسانه سهلة عذبة نقية غير متكلفة، فذوق العربي الذي غذته تلك الطبيعة الصافية السهلة ينبو به عن الثقل والتعقيد، نقل ابن جنى عن أبي حاتم بن محمد السجستاني قوله "قرأ عليَّ أعرابي بالحرم "طيبى لهم وحسن مآب" فقلت: طوبى، فقال الرجل: طيبى، فأعدت فقلت: طوبى. فقال: طيبى. فلمّا أطال عليّ قلت: طوطو؛ فقال الأعرابي: طي طي؛ أفلا ترى إلى هذا الأعرابي وأنت تعتقده جافيا كزًّا لا دَمِثًا ولا طيِّعًا، كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء، فلم يؤثر فيه التلقين، ولا ثنى طبعه عن التماس الخِفّة هزٌّ ولا تمرين"(٢).

فالعربي يميل بطبعه وذوقه إلى الأسلوب السهل الرفيع، محققًا في خطابه أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، فهو ينطق اللفظة مدركًا معناها ومدركًا ما تؤديه هذه اللفظة داخل التركيب، ومدركًا ما يؤديه اختلاف موقع الكلمة داخل الجملة قال ابن جني: "وسألت يومًا أبا عبد الله محمد بن العسَّاف العقيلي التميمي، فقلت له: كيف تقول: ضربت أخوك؟ فقال أقول: ضربت أخاك. فأدرته على الرفع فأبى وقال: لا أقول: أخوك أبدًا؛ قلت: فكيف تقول: ضربني أخوك، فرفع؛ فقلت: ألست زعمت أنك لا تقول:

---

(١) انظر: مدرسة البصرة النحوية، ص٢.

(٢) الخصائص: جـ١/٧٦، ٧٧.

أخوك أبدًا؟ فقال: أيشٍ هذا! اختلفت جهتا الكلام.فهل هذا إلاّ أدل شيء على تأملهم مواقع الكلام، وإعطاءهم إياه في كل موضع حقّه وحصّته من الإعراب عن ميزة، وعلى بصيرة وأنه ليس استرسالاً ولا ترجيمًا"(١).

فقاعدة العربي فطرته، وأدواته ذوقه، ومعيار الحكم عنده بلوغ التعبير أعلى درجات التعبيرية من حيث الفصاحة والبلاغة وموافقة ما تنطوي عليه لغتهم من الذكر والحذف، والإظهار والإضمار، والزيادة والإيجاز...

وظلت العربية هكذا تجري على ألسنة أبناءها سليمة نقية متماسكة البنيان، غير مشوبة بلوثة الإعجام إلى أن سطع نور الإسلام على شبه الجزيرة العربية وما حولها؛ وذلك أنه بعد أن انبلج نور الإسلام وغمر الأقطار المتاخمة لشبه الجزيرة العربية شرع العرب الخلّص الأقحاح يختلطون بغيرهم من أبناء الأمم الأخرى الذين دخلوا في الإسلام أفواجًا، وحرصوا بحكم إسلامهم على أن يتعلموا العربية لغة دينهم ووسيلة فهم هذا الكتاب الخالد(٢).

ثم اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وتتابعت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين وازداد الاختلاط والتعامل والتصاهر مع غير العرب، وامتزج العرب بغيرهم من الشعوب المجاورة فوقع بينهم من أسباب التعايش وما تفرضه الحياة اليومية ما وقع مما كان له أكبر الأثر في أن يهبط العربي الفصيح بلغته، وقد يتعمَّل ذالك ويحاكي بعض الأعاجم ترفقاً به وتوصلاً إلى قدرٍ مشترك في لغة الخطاب ومن ثم بدأت رائحة اللحن تعكر صفو العربية، وظهر اللحن على ألسنة العامة والخاصة قال الزبيري: "ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجًا، وأقبلوا إليه أرسالاً، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منها في الإعراب الذي هو حليها والموضح لمعانيها"(٣).

---

(١) الخصائص: جـ١/٧٧.

(٢) انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: ص١٤.

(٣) طبقات النحويين واللغويين: ص١١.